سُورَةُ الزُّمَرِ

التّعريف العامّ بالسورة:

المكّيّ والمدني:

سورة الزُّمر كلُّها مكّيَّة

سورةُ الزُّمر كلُّها مكّيَّةٌ بالاتِّفاق[1]، وذكر السّيوطيُّ أنَّهم استثنوا من مكّيتها قوله تعالى: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [الزمر: 53 - 56]، وزاد بعضهم قوله: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ [الزمر: 10]، واستثنى بعضهم: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣﴾ [الزمر: 23][2].

وقد عقَّب ابن عاشور على هذه الأقوال بقوله: "والمُتَّجَهُ: أنَّها كُلَّها مَكّيَّةٌ، وأنَّ ما يُخَيَّلُ أنَّهُ نَزَلَ في قَصَصٍ مُعَيَّنَةٍ - إنْ صَحَّتْ أسانيدُهُ - أنْ يَكونَ وقَعَ التَّمَثُّلُ بِهِ في تِلكَ القَصَصِ، فاشتَبَهَ عَلَى بَعضِ الرّواةِ بِأنَّهُ سَبَبُ نُزولٍ"[3].

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 517، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 311.
(2) السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 63.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 312.

ترتيب النزول وترتيب المصحف وعد الآي:

هي السّورة التّاسعة والثّلاثون في التّرتيب المصحفيِّ الشّريف، وهو التّرتيبُ الثّابت، والمُعوَّل عليه عند أهل النّظر والتّحقيق، جاءت بين سورتَي (ص) و(غافر)، والتّاسعة والخمسون في ترتيبها النُّزوليِّ، نَزَلَتْ بَعْدَ سورَةِ سبأ وقَبلَ سورَةِ غافر[1].

وَهي سَبْعونَ وخمْس آيات في الكوفيِّ، وثَلاث وسبعون في الشّاميّ، واثْنَتانِ وسبعون في عدد الباقينَ[2]، وسببُ اختلافهم في عددها هو اختلافُهم في تحديد فواصل سبع آياتٍ منها.

فضائل السورة:

عند البحث والتّحقيق في فضائلها نجد أنَّها تدخل في السّور المثاني، الّتي قال فيها النبي ﷺ فيما رواه عنه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ، وأُعطيتُ مكانَ الزَّبورِ المئين، وأُعطيتُ مكانَ الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلتُ بالمُفصَّلِ[3]"، وقد أخرج الإمام التِّرمذيُّ في فضلها عن عائشةَ رضي الله عنها: "كانَ النَّبيُّ ﷺ لا يَنامُ حَتَّى يَقرَأ الزُّمَرَ، وبَني إسرائيلَ"[4].

اسم السّورة وسبب التَّسميَةِ:

سورةُ الزُّمرِ لم يثبت لها اسمٌ آخر

وردت تسميتُها بسورة الزُّمر في كُتُبِ السُّنَّة والتَّفسير، وذكر القرطبيُّ والسّيوطيُّ تسميتها بسورة الغُرَفِ[5]، ولعلَّ السَّبب في ذلك ورود هذه اللَّفظة فيها في قوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الزمر: 20]، وذكر بعضهم تسميتها بسورة ﴿تَنزِيلُ﴾؛ لأنَّها استهلَّت به[6]، يقول الزُّحيليُّ عن سبب تسميتها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 312، ودروزة، التفسير الحديث: 4/ 297.
(2) الداني، البيان، ص: 216.
(3) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: (16982)، والطبراني في المعجم: 22/ 76، حديث رقم: (187).
(4) التّرمذيّ، سنن التّرمذيّ، حديث رقم: (3405).
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 232، والسّيوطيّ، الإتقان: 1/ 194.
(6) البقاعي، نظم الدّرر: 16/ 436.

باسمها المشتهر: سُمّيت سورة الزُّمر؛ لأنَّ الله تعالى ذكر في آخرها زمرةَ الكفّار الأشقياء مع الإذلال والاحتقار، وزُمرَ المؤمنين السُّعداء مع الإجلال والإكرام[1].

ويمكن أن يُقال: إنَّ تسميتها بسورة الزُّمر إنَّما جاء مرتبطًا مع محورها العامِّ الذي يجمع آياتها، وهو يقوم على بيان أثرِ القرآنِ الكريم في تحقيق الدّين الخالصِ لله تعالى مِن خلال إرساء قواعدِ العقائد، وأهمُّها وحدانيَّةُ الله تعالى، وذلك عن طريق المنهجِ العلميِّ الذي ركَّزت عليه السّورة الكريمة، مِن أجل تحقيقِ سعادة الدّارَيْن؛ لذا فإنَّ تسميتَها بسورة الزُّمر إنَّما جاء مرتبطًا بتلك المقابلات الكثيرةِ الَّتي أجرتها السّورة بين زمرٍ مختلفة مِن أحوال النّاس، لعلَّ من أهمِّها:

أوّلًا: المقابلة بين حالَي الإنسان في الرَّخاء والشِّدَّة: ﴿۞وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ [الزمر: 8]، ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ﴾ [الزمر: 49].

ثانيًا: المقابلة بين حالِ القانت العالم والجاحد الجاهل: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: 9].

ثالثًا: وكذلك المقابلةُ بين زمرتَي المهتدين والضّالّين: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٣٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ﴾ [الزمر: 36 - 37].

رابعًا: وبين أحوال الكافرين عند ذكر الله أو غيره: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ [الزمر: 45].

خامسًا: المقابلة بين حال مَن شرح الله صدره، ومَن ضاق صدره: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزمر: 22].

سادسًا: المقابلة بين حال المكذِّبين وحال المصدِّقين: ﴿۞فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ [الزمر: 32 - 33].

(1) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 23/ 238.

سابعًا: المقابلة بين حال الموحِّد وحال المشرك من خلالِ ضربِ المثلِ بهما: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩﴾ [الزمر: 29].

ثامنًا: المقابلةُ بين أحوال زمرةِ الخاسرين وزمرة الفائزين يوم القيامة: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧﴾ [الزمر: 15 - 17]، ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦١﴾ [الزمر: 60 - 61]، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر: 71]، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر: 73].

المحور العام للسورة:

بيان أثرِ القرآنِ الكريم في تحقيقِ الدّينِ الخالصِ

جاءت هذه السّورة الكريمة لتقرِّرَ أثرَ القرآن الكريم في تحقيق الدّين الخالص لله تعالى من خلال إرساءِ قواعد العقائدِ الصَّحيحة القائمة على العلم وإعمال العقل في التَّفكُّر في آيات الله تعالى، ومن خلال إجراء تقابلاتٍ متنوِّعة بين أحوال النّاس، وأحوالٍ من المواقف المختلفة، وذلك كلُّه من أجل تحقيق سعادة الدُّنيا والآخرة للإنسانيَّة جمعاء ويظهر ذلك من خلال النقاط الآتية:

أولًا: اقتضى هذا المحورُ أن تُبيِّن السورة مرارًا أثرَ هذا القرآن في تحقيق سعادةِ الإنسان، وأن تحثَّ على اتِّباعه.

ثانيًا: تُبيِّن السورة قيمةَ العلم في فَهْمِ مقاصد القرآن وأثرِه في تحقيق الدّين الخالصِ، وأن تنعى كذلك على الجاهلين في أكثر من موضعٍ.

ثالثًا: اقتضى هذا المحورُ أن تُبيِّن السورة أهمَّ المعوِّقات للاستجابة لهذا القرآن، وهو الاستكبار.

موضوعات السورة وخصائصها:

مَـدارُ الـسّـورةِ يـــدور حـــولَ إخلاصِ التَّوحيد لله تعالى

تَحومُ موضوعات هذه السورة حَوْلَ إثْباتِ تفرد اللّه تَعالَى بِالإلَهيَّةِ وإبْطالِ الشِّرْكِ فيها، وإبْطال تعللات المُشْرِكينَ لِإشْراكِهِمْ وأكاذيبِهِم، ونَفْيِ ضَرْبٍ مِنْ ضُروبِ الإشْراكِ وهوَ زَعْمُهُمْ أنَّ للّه ولَدًا، ومن أهم الموضعات التي تناولتها السورة هي:

أولًا: ابتدأت هذه السورةُ ببيان تنزيل القرآن الكريم مِنَ اللّه تعالى على رسولهِ ﷺ، وأمر الرَّسول ﷺ بإخلاص الدّين للّهِ، وتنزيه اللّه عن مشابهة المخلوقات، وتوضيح شبهةِ المشركين في اتِّخاذ الأصنام آلهةً شفعاء وعبادتها وسيلة إلى اللّه تعالى، والنَّعي عليهم في عبادة الأوثان.

ثانيًا: أردفت السورة ذلكَ بإقامةِ الأدلَّة على وحدانيَّة اللّه، من خلقِ السَّموات والأرض، وتعاقب اللَّيل والنَّهار، وتسخير الشَّمس والقمر، وخلق الإنسان في أطوار مختلفة متعاقبة، ثمَّ ندَّدت بطبيعة المشرك وتناقضِهِ حين يدعو اللّهَ حال الضُّرِّ، وينساه حال الرَّخاء، ثمَّ عادت لإيراد بعضِ هذه الأدلَّة كإنزال المطر وإنبات النَّبات.

ثالثًا: عرضت السورة لقضيَّة الموت والبعث في مواضع عديدة منها.

رابعًا: ذكرت السورة مقارنة بين المؤمنين وبين الكافرين، حيثُ يسعد الأوائل في الدُّنيا والآخرة، ويشقى الآخرون فيهما، ويتمنَّون الفداء حين يرون العذاب.

خامسًا: أشادت بعظمة القرآن الكريم؛ إذ تقشعرُّ من آياته جلودُ المؤمنين الخائفين، ثمَّ تلين جلودهم وقلوبهم لذكرِ اللّه، على عكس المشركين الذين تنقبضُ قلوبُهم عند سماع توحيدِ اللّهِ، كما أنَّ القرآن يتضمَّن أمثالًا للنّاس لعلَّهم يتذكَّرون.

سادسًا: فتحَت السورة باب الأملِ أمام المسرفين، ووعدهم بمغفرةِ ذنوبِهم؛ إذا تابوا، وأوضح ما يُرى على وجوه الَّذين كذبوا على الله مِن أهل النّار يوم القيامة مِن كآبة وحزن.

وأعقب ذلك ببيان أحوالِ القيامة، وحدوث نفختين: الأولى للإماتة، والثّانية للإحياء مِن القبور، ثمَّ يأتي الحسابُ والقضاء بالحقِّ، وإيفاء كلِّ نفس ما عملت.

سابعًا: خُتِمت السّورة بتقسيم النّاسِ يوم القيامة فريقَين: فريق الكافرين الذين يساقون زمرًا وجماعاتٍ إلى جهنَّمَ، ويشاهدون من أهوال المحشر، وفريق المؤمنين الذين يُساقون إلى الجنان وتحيّيهم الملائكةُ، ويشاهدون في الجنَّة النَّعيم المقيم الَّذي يستدعي الحمد التّامَّ لله ربِّ العالمين، ويرون الملائكة حافّين حول العرشِ يسبِّحون بحمد ربِّهم[1].

الخصائصُ الموضوعيَّة لسورة الزُّمر:

تـمـيَّـزت سـورةُ الزُّمر بخصائص أفـردتـهـا عـن غيرها مِنَ السّور

أولًا: تميَّزتِ السّورةُ الكريمة بموضوعات لم تَرِدْ في غيرها من السّور، مثل: الحديث عن خَلقِ الإنسان في بطن أمِّه في ظلماتٍ ثلاثٍ، وعن أنَّ الله تعالى يرضى لعباده الشُّكر ولا يرضى لهم الكفرَ، وعن فضيلة العلم وعدم استواء العالم والجاهل، فضلًا عن تركيزها على موضوع الإخلاص في التَّوحيد للهِ، ونبذ الشُّركاء والشُّفعاء والأنداد، بصيغ متعدِّدةٍ، وكذلك تفرَّدت بضرب المثل بالرَّجل الذي له شركاء متشاكسون والرَّجل السَّلم لرجلٍ، وتفرَّدت بحديثها عن توفّي الأنفس عند النَّوم، وعن إشراق الأرض بنور ربِّها وعن سوق الكافرين والمتَّقين زمرًا، وغير ذلك.

ثانيًا: تفرَّدتِ السّورة الكريمة بذكر أعظم آيتَيْن في الرَّجاء

(1) الزحيليّ، التّفسير المنير: 23/ 239 - 240.

والخوف، وهما يمثِّلان صورةً مِن صورِ المُقابلات بين هذه الزُّمر المختلفة الَّتي ذكرتها السّورة الكريمة، فأعظمُ آيةٍ في الرَّجاء هي قوله تعالى: ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: 53]، فقد حظيتْ بأساليبَ مِن التَّوكيد والقصر لم يرد في غيرها، وأمّا أعظمُ آية في الوعيد؛ فقد قالوا: إنَّها: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر: 47].

الخصائصُ الأسلوبيَّة لسورة الزُّمر:

أولًا: تفرَّدت السّورةُ الكريمة بذكر صورٍ من أسلوب المقابلات، ولم ترد في غيرها من السّور بهذا الزَّخم، فضلًا عن وفرة أسلوب الطّباق بين بعض الألفاظ، مثل: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ [الزمر: 21] و﴿ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: 21]، ﴿ٱلَّيْلَ﴾ و﴿ٱلنَّهَارِ﴾، ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ﴾، (فوق وتحت)، (الكفر والشُّكر)، (الصِّدق والكذب)، (السُّجود والقيام)، (العلم والجهل)، ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ [الزمر: 23] و﴿تَلِينُ﴾ [الزمر: 23]، ﴿ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الزمر: 46]، ﴿يَبْسُطُ﴾ [الزمر: 52] و﴿وَيَقْدِرُۚ﴾ [الزمر: 52]، وغيرها.

ثانيًا: تفرَّدت السّورةُ الكريمة بأنساق تعبيريَّة فريدة، منها: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ﴾، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ﴾، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ﴾ [الزمر: 7]، ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر: 8] وغيرها الكثير.

ثالثًا: تكرَّرت في السورة بعضُ الألفاظ والأنماط التَّعبيريَّة بشكل لافت، مثل: ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: 9] [الزمر: 18] الَّتي تكرَّرت ثلاث مرّات في ثلاث فواصل[1]، والحديث عن العبادة والعباد؛ إذ وردَ في نحو ستَّ عشرةَ مرَّة[2]، وتكرَّرت فيها لفظةُ الإخلاص

(1) الآيات: 9، 18، 21.

(2) الآيات: 2، 3، 7، 10، 11، 14، 15، 16، 17، 36، 46، 53، 64، 66.

ومشتقّاتها أربعَ مرّاتٍ[1]، والعلم ومشتقّاته إحدى عشر مرَّة[2]، ولفظةُ الدّين؛ إذ وردت أربعَ مرّات[3]، وكلُّ ذلك مرتبطٌ بمحورِها العامِّ.

رابعًا: كَثُرَ فيها أسلوب الاستفهام التَّقريريِّ والإنكاريِّ[4]، والذي قد يُراد به أحيانًا التَّعجيب أو التَّوبيخ أو التَّكذيب أو غيره، لا سيَّما في أثناء المقابلات التي أكثرتِ السّورةُ الكريمةُ من إجرائِها، والَّتي كان يُحذفُ فيها أحيانًا طرف المقابلةِ الآخر للعلم بهِ.

خامسًا: كَثُرَ فيها التَّنوُّع في استعمال ألفاظ الشِّرك والشُّركاء في سبيل نفيها عن الله تعالى، وإثبات التَّوحيد الخالص له، من مثل لفظ: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾، و﴿وَلَدًا﴾، و﴿أَندَادًا﴾ [الزمر: 8]، و﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [الزمر: 17]، و﴿شُفَعَآءَ﴾ [الزمر: 43] فضلًا عن استعمال تعبير ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ عدَّة مرّاتٍ[5]، واستعمالها بعضَ الأفعال مع هذه الألفاظ مِن مثل: (الشِّرك) و(الاتِّخاذ) و(العبادة) و(الدُّعاء) و(الجعل).

سادسًا: تفرَّدت السّورةُ الكريمةُ بصيغٍ واشتقاقاتٍ لم ترد في غيرها مِنَ السّور، مثل: ﴿ٱلْخَالِصُ﴾، ﴿خَوَّلَهُۥ﴾ [الزمر: 8]، ﴿خَوَّلْنَٰهُ﴾ [الزمر: 49]، ﴿تَمَتَّعْ﴾ [الزمر: 8]، ﴿ٱجْتَنَبُوا۟﴾ [الزمر: 17]، ﴿تُنقِذُ﴾ [الزمر: 19]، ﴿تَلِينُ﴾ [الزمر: 23]، ﴿تَمُتْ﴾ [الزمر: 42]، ﴿يَحْتَسِبُونَ ۝٤٧﴾ [الزمر: 47]، ﴿أَسْرَفُوا۟﴾ [الزمر: 53]، ﴿مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: 60]، ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾ [الزمر: 67]، ﴿مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾ [الزمر: 67]، ﴿وَأَشْرَقَتِ﴾ [الزمر: 69]، ﴿وَسِيقَ﴾ [الزمر: 71]، ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ [الزمر: 74]، ﴿حَآفِّينَ﴾ [الزمر: 75].

سابعًا: تميَّزت السّورة الكريمة بذكرِها ألفاظًا فريدة في جذرها اللُّغويِّ، لم ترد في غيرها من السّورِ، وهي قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ [الزمر: 23]، وقوله: ﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾ [الزمر: 29]، وقوله: ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ [الزمر: 45]، وقوله: ﴿زُمَرًا﴾ [الزمر: 71] [الزمر: 73] التي وردت مرَّتيْن في هذه السّورة دون غيرها، ولا شكَّ أنَّ هذا كلَّهُ مرتبطٌ بمحور السّورة الكريمة دون أدنى تكلُّفٍ.

مناسبة السورة لما قبلها:

جاءت المناسبة بين سورة الزمر وسورة ص من خلال النقاط الآتية:

(1) الآيات: 2، 3، 11، 14.
(2) الآيات: 7، 9، 26، 29، 39، 46، 49، 52، 70.
(3) الآيات: 2، 3، 11، 14.
(4) الآيات: 9، 19، 21، 22، 24، 32، 36، 37، 38، 43، 52، 60، 64، 71.
(5) الآيات: 3، 15، 36، 38، 43، 45.

سـورةُ الـزُّمـرِ متَّصلة تمامًا بـسـورة (ص) مـضـمـونًـا وأسلوبًا

أولًا: سورة الزمر متمِّمة لما تقدَّم في سورة (ص)، فلمّا بُنيت سورة (ص) على ذِكر المشركين وعنادهم وسوء ارتكابهم واتِّخاذهم الأندادَ والشُّركاء؛ ناسب ذلك ما افتتحتْ بهِ سورة الزُّمر من الأمر بالإخلاص الَّذي هو نقيضُ حال من تقدَّم[1].

ثانيًا: فصَّلت سورة الزُّمر موضوعَ الإخلاص الَّذي أجملته سورة (ص) تفصيلًا عميقًا، فقد أشارت سورة (ص) إلى صفة الإخلاص في حديثها عن كوكبةِ الأنبياءِ الَّذين عرضت مشاهد قصصيَّة من حياتهم، ثمَّ قالت عنهم: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧﴾ [ص: 46 - 47]، فضلًا عن أنَّ إبليس قد استثنى في آخر سورةِ (ص) المخلصين من غوايتِهِ حين أقسم لربِّه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: 82 - 83]، واستهلَّت سورة الزُّمر بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾، وجاء فيها: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١﴾ [الزمر: 11]، و﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ [الزمر: 14].

ثالثًا: أنَّه تعالى ختم سورةَ (ص) واصفًا القرآنَ بقوله: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، وابتدأ سورة الزُّمر بقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾، فكأنَّه قيل: هذا الذِّكر تنزيلٌ، فهما كالآية الواحدة، بينهما اتِّصالٌ وتلاحمٌ شديدٌ.

رابعًا: ذكر تعالى في آخر (ص) قصَّة خلقِ آدم ﷺ، وذكر في القسم الأوَّل من سورة الزُّمر أحوال الخلقِ من المبدأ إلى المعاد، متَّصلًا بخلق آدم المذكور في السّورة المتقدِّمة[2].

(1) ابن الزّبير الغرناطي، البرهان في تناسب القرآن، ص: 290 - 291.
(2) المراغي، تفسير المراغي: 23/ 141، والزّحيلي، التفسير المنير: 23/ 238.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»